أخطاء الوالدين في تربية الأبناء

محمد عبد القادر عابدين

ملخص:

هدفت هذه المقالة الإشارة إلى أهم الأخطاء التي يقع فيها الوالدان في تربية أبنائهم، وذلك لتنبيه الوالدين والمهتمين إلى ضرورة تجنّبها والفرار منها. وقد أشارت المقالة إلى دور الوالدين والأسرة في توجيه الأبناء، كما بينت مجموعة من الطرق التي يمكن اتباعها في عملية تنشئة الأبناء، وأشكال الاتجاهات الوالدية السلبية في التنشئة الاجتماعية للأبناء. وحددت المقالة الأسباب المؤدية إلى خطأ الوالدين في تربية الأبناء، ومنها: عدم فهم طبيعة التغيرات التي يمر بها الأولاد، والصراع الأسريّ، والحرص على تربية الأبناء لزمان الآباء، والمبالغة في الدلال والحنان، والتساهل مع أحد الأبناء دون الآخرين، والحرمان البيئي، وانعدام النظام في الأسرة، وعدم الثبات والمثابرة، وقلة المتابعة، والانشغال عن الأسرة

الله لا إله إله هو، خلق الإنسان، علّمه البيان، وأوكل إليه مهمّة إعمار الأرض والنظر والتدبر في خلق الكون وسننه. واللهُ الخالقُ الحكيمُ الخبيرُ جعل الإنسانَ في الأرض خليفةً، فطفق الإنسان يبني لنفسه منهجاً وطريقة حياة، ويسعى ويحفد، ولم يقعد عن العمل. وكان من سعي الإنسان أن اجتهد بتربية ناشئته لما يحقق له السعادة، وكان من عناية الله ولطفه بالإنسان أن ميّزه بالتدبير، وأنعم عليه بالعقل والفكر، وأرسل إليه الأنبياء والرسل لئلا يضلّ ويشقى.

توصف التربية بأنها عمليةٌ اجتماعيةٌ مستمرةٌ يضطلع الوالدان بمسؤوليتها منذ ولادة الطفل؛ بل إنّ مسؤولية الوالدين نحو الطفل تتعدّى هذه المرحلة إلى ما قبل الولادة، حيث تبدأ المسؤولية التربوية بحسن اختيار الزوج أو الزوجة على أساسٍ من التقوى والإيمان، ثمّ حُسن التغذية والعناية بالصحة والامتناع عن تناول ما يضرّ أثناء فترة الحمل، ثمّ حُسن تسمية الطفل واستكمال إرضاعه، ثمّ رعاية الطفل وتأديبه وتعليمه الحلال والحرام، وإظهار القدوة والأسوة الحسنة، وأمور أخرى.

والتربية وما يكتنفها من تنشئة اجتماعية تتطلب تزويد الفرد في مراحل عمره المختلفة بالمعايير والاتجاهات المناسبة لأدوارٍ اجتماعية مناسبة تساعده على التفاعل والتكيف مع المجتمع أفراداً وجماعات ومؤسسات، وتُسهّل عملية اندماجه في الحياة الاجتماعية[1].

وثمة عوامل كثيرةٌ تؤثر في عملية التربية، والتنشئة الاجتماعية، منها: طبيعة كل مؤسسة من مؤسسات التربية المتمثلة في الأسرة، والمدرسة، والرفاق، ووسائل الإعلام، ودور العبادة، والثقافة، والقيم، والعادات، ورسالتها، وأهدافها، والأدوار التي تنفذها، وجمودها أو حراكها، وغير ذلك[2]. ولا شك أنّ الأسرة ذات تأثيرٍ كبيرٍ وشديد الحساسية في حياة الطفل وتربيته، ذلك أنها المؤسسة الأولى التي يتفاعل معها الطفل، وبالتالي يكون تأثيرها بمثابة القاعدة التي يُبنى عليها سلوك الفرد، وينطلق منها جَدّه وهزله، وعَمْده وخطأه.

وواقع الأمر أنّ التربية تختلف من مجتمع لآخر بحسب طبيعة المجتمع والقوى المؤثرة فيه، والقيم التي اختارها وارتضاها ليسير عليها في حياته الإنسانية ومسيرته الحضارية. وبالتالي، فلا غرابة أن تشتق التربية أهدافها من أهداف المجتمع الذي تعيش فيه وفي كنفه لتجعل منه فلسفةً وتصوراً لها.

وقبل الخوض في أخطاء التربية وتنوع طرقها، يتوجب الأمر تحديد مدلولها، وتبيان ضرورتها. فالتربية في مدلولها اللغوي تعني إنشاء الشيء أو الشخص وتعهّده بما يغذيه وينمّيه ويؤدبه[3] وفيها معنى الزيادة والنماء كما تدلّ عليه الآية الكريمة: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَاْ فِيْ أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوْاْ عِنْدَ اللّهِ}[4]. كما أنها تعني تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً[5]. أما في الاصطلاح، فجاءت التربية بمفاهيم كثيرة ومعانٍ عديدة. وقد لخصها أهل الاختصاص بأنها "عملية تشكيل إعداد أفرادٍ إنسانيين في مجتمعٍ معين، وفي زمانٍ ومكانٍ معينين حتى يستطيعوا

---

[1] مختار حمزة، 1982، **أسس علم النفس الاجتماعيّ**، ط1، جدّة: عالم البيان العربيّ.

[2] محمد الهاشميّ، 1989، **المرشد في علم النفس الاجتماعيّ**، جدّة: دار الشروق.

[3] سهام مهدي جبّار، 1997، **الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية**، ط1، بيروت: المكتبة العصرية.

[4] الآية 39، سورة الروم.

[5] محمد محمود الحيلة، 2003، **تصميم التعليم**، ط2، عمان: دار المسيرة.

أن يكتسبوا المهارات والقيم والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة التي تيسر لهم عملية التعامل مع البيئة الاجتماعية التي ينشأون أفراداً فيها، ومع البيئة المادية أيضاً"[6].

والتربية ضرورةٌ اجتماعيةٌ للفرد والمجتمع معاً. فبالنسبة للفرد، فإنها تعمل على توفير الفرص الضرورية لتنمية جميع جوانب شخصيته، وتمكّنه من تحقيق أقصى إمكاناته، والوصول به إلى الحالة التي يرغب أن يكون عليها كائناً قادراً على مواجهة متطلبات الحياة والتنافس مع أقرانه وصولاً إلى الحياة الرغيدة السعيدة. وتأتي ضرورتها للمجتمع في أنها تُعدّ الجيل الذي يخرج بأمته من مشكلاتها ومآزقها وضنك عيشها، ويقود خطاها إلى مستقبلٍ زاهرٍ وغدٍ مشرق[7].

وتأسيساً على ما سبق أجمل المربون أهداف التربية في ثلاثة مجالات:

1. مجال تربية الفرد ذاته من خلال تكوين الشخصية المتكاملة البناءة له، وتشكيل المهنة النافعة المتخصصة له، وتأهيله للدور الذي يرضاه لنفسه ويرضاه المجتمع له.
2. مجال تربية الفرد أُسَرِيّاً من خلال إعداده نفسياً وسلوكياً لتبنّي مفهوم الأسرة والمبادرة لتكوينها في الوقت المناسب من عمره، وإعداه للقيام بدوره في تحمّل مسؤولياته الأسرية والبيولوجية والنفسية والاجتماعية كونه زوجاً وأباً وأخاً، وتمكينه من الاستمرار بأصوله الأسرية المباشرة ومن التواصل الإنساني لعائلته وعشيرته.
3. مجال تربية الفرد في المجتمع من خلال إعداده لسد احتياجات المجتمع البشرية، وسدّ الاحتياجات الاجتماعية والثقافية والنفسية والاقتصادية والقومية والعسكرية والحضارية والإنسانية[8].

وبغض النظر عمّا روي من أنه لا يمكن للتربية أن تحقق أهدافها إلا من خلال التعليم وبوجود معلمين ومربين[9]، فإنه يهمّنا في هذه المقالة التركيز على دور الوالدين دون غيرهما من أفراد الأسرة من الأخوة والأقارب في تربية الأبناء وتوجيههم نظراً لما للوالدين من دور عظيم. وقد

---

[6] محمد لبيب النجيحي، 1978، **الأسس الاجتماعية للتربية**، ص14، بيروت: دار النهضة العربية.

[7] سهام مهدي جيّار، 1997، مرجع سابق.

[8] علي راشد، 1993، **مفاهيم وآفاق تربوية**، القاهرة: دار الفكر العربي.

[9] محمد الحيلة، 2003، مرجع سابق؛ ومفيدة إبراهيم، 2003، **دور التربية في مستقبل الوطن العربيّ**، ط1، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

ورد في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلّم: "ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوّدانه، أو يُنَصّرانه، أو يُمَجّسانه"[10]، وقال صلى الله عليه وسلّم "أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم"[11]. وجاء في الجامع الصحيح للترمذيّ حديثان رويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هما: " لأن يؤدب الرجل ولده خيرٌ له من أن يتصدّق بصاع" و"ما نحل والدٌ ولداً أفضل من أدبٍ حسنٍ"[12].

لا شك أن للوالدين مسؤوليةً عظيمةً، وأنهما اللبنة الأساسية في الأسرة التي تعتبر أساس وجود المجتمعات، والمهد الحقيقيّ للحياة الإنسانية. وقد جاء في تعريف الأسرة أنها "رابطةٌ اجتماعيةٌ تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد، وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشةٍ واحدةٍ"[13]. وتوضيحاً لضخامة دور الأسرة وأهميتها في تشكيل شخصية الفرد وسلوكه في كل مراحل حياته، فقد تحددت لها ثلاث وظائف أساسية تقوم بها، هي: إنتاج الأطفال وإمدادهم بالبيئة الصالحة لتحقيق حاجاتهم الجسمية والاجتماعية، وإعداد الأطفال للمشاركة في حياة المجتمع والتعرّف إلى قيمه وعاداته وتَمثّلها، وإمداد الأطفال بالوسائل التي تهيء لهم تكوين ذواتهم داخل المجتمع[14].

والوالدان قدوةٌ لأبنائهما، فإن أحسنا كان الباب مُشرَعاً لإحسان الأبناء، وإن أساءا أو خرجا عن النهج القويم والصراط المستقيم كان الشيطان أقرب إلى الأبناء، فتعلموا منه السلوك غير المرغوب فيه. وقد استخلص أهل الاختصاص ثلّةً من الطرق المتنوعة التي يُنصَح الوالدان باتباعها في عملية تنشئة الأبناء وتربيتهم، منها:

---

[10] رواه مسلم، **صحيح مسلم** (باب: كل مولود يولد على الفطرة)، الجزء 2.

[11] رواه ابن ماجة. أنظر: عبد الله علوان، 1978، **تربية الأولاد في الإسلام**، ط2 (الجزء الأول)، بيروت: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

[12] الترمذيّ، أبو عيسى محمد بن عيس، **الجامع الصحيح**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار إحياء التراث العربي.

[13] باقر شريف القرشي، 1988، **النظام التربويّ في الإسلام**، بيروت: دار التعارف، ص64.

[14] محمد لبيب النجيحي، 1978، مرجع سابق.

1. تشجيع الأطفال على استخدام حواسّهم والعناية بها لأنها تساعدهم في التعرّف إلى بيئاتهم.
2. توفير القدوة السليمة لهم كي يتمكن الواحد منهم من تقليد نموذجٍ مقرّبٍ منه يرى فيه شخصيةً محبوبةً وقويةً.
3. تشيجعهم على الاكتشاف والتجريب والتطبيق، وتدريبهم وإتاحة الفرصة أمامهم لتطوير أنفسهم ومهاراتهم.
4. توفير الخبرات الجيدة والملائمة لهم، وتوفير الموادّ التي تسهم في تعلّمهم.
5. تعريفهم أحكام الحلال والحرام، ومساعدتهم على ممارسة الشعائر، وإقامة حدود الله، واكتساب العادات السليمة، وأداء الحقوق والواجبات، ومتابعتهم في العمل بها وتطبيقها[15].

وقد بيّن ابن عرضون في القرن العاشر الهجريّ أن إشباع الحاجات الوجدانية والأخلاقية من أهمّ واجبات الوالدين، إذ أنّ واجب الأب عنده "أن يربي ابنه تربيةً أخلاقيةً رفيعةً: يُعلّمه محاسن الأخلاق، ويبعد عنه الأشرار ورفائق السوء، ويعوّده على التقشف، وينفّره من التنعّم والتزيّن والرفاهيّة"[16].

وعلى النقيض من التربية السليمة، فإنّ خطأ الوالدين في تربية الأبناء خطأٌ فادحٌ يصيب الأسرة والأمة في مَقتَل، ويعني أنّ الأطفال يتعلّمون السلوك غير المرغوب فيه، ويقعون في حبائل الشيطان. والسلوك غير المرغوب فيه هو سلوكٌ لا يتقيّد بتعاليم الدين وثقافة المجتمع، سواء كان ذلك السلوك أفعالاً إراديةً أو غير إرادية. ويرى المتخصّصون في مشكلات الأطفال التربوية والسلوكية أنّ السلوك المشكل سلوكٌ متَعَلّمٌ لا يحدث في فراغٍ، وإنما يكتسبه الطفل من بيئته، علاوةً على أنه سلوكٌ غير ثابت، بل سلوكٌ قابلٌ للتعديل[17]. ولذلك فمن الأمور المعتبرة في

---

[15] محمد الهاشمي، 1989، مرجع سابق؛ وسهام جبّار، 1997، مرجع سابق؛ ويوسف أبو حميدان، 2001، **العلاج السلوكيّ لمشاكل الأسرة والمجتمع**، ط1، العين: دار الكتاب الجامعيّ؛ وعدنان باحارث، 2002، **مسؤولية ألأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة**، ط8، جدّة: دار المجتمع للنشر والتوزيع.

[16] علي زيعور، 1985، **التربية وعلم نفس الطفل في الذات العربية**، ط1، بيروت: دار الأندلس، ص201.

[17] جمال الخطيب، 2003، **تعديل السلوك الإنساني**، ط1، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

تحليل السلوك غير المرغوب فيه لدى الأطفال وتحديد أسبابه النظر إلى خطأ الوالدين على أنه أحد تلك الأسباب، فالولد حسنةٌ من حسنات أبيه، أو سيئةٌ من سيئات أبيه.

واهتمت بعض الدراسات بدراسة سلوك الوالدين وأنماط التنشئة الوالدية، وكان من نتائجها أنّ الوالدين يخطئون وتتكون لديهم اتجاهات والدية سلبية. والاتجاهات الوالدية هي "الإجراءات والأساليب التي يتبعها الوالدان في تطبيع أو تنشئة أبنائهما اجتماعياً"[18]، أو هي أساليب الآباء والأمهات نحو تنشئة الطفل في المواقف اليومية سعياً وراء إحداث تغييرٍ أو تعديلٍ في سلوك الطفل أو إكسابه سلوكاً جديداً يتوافق مع معايير الراشدين[19]. وعلى الرغم من أنّ الاتجاهات الوالدية السلبية قد تتداخل فيما بينها، غير أنه يمكن الإشارة إلى أهمها، وهي[20]:

(1) اتجاه القسوة الذي يعبّر عن مجموعة الأساليب التي يتبعها الوالدان لضبط السلوك غير المرغوب فيه لدى أبنائهم، ويتضمن ذلك الضربَ، والصفعَ، والتهديد اللفظيّ، والحرمان، وإساءة معاملة الطفل، والإيذاء.

(2) اتجاه الإهمال الذي يعبّر عن تجنّب الوالدين أو إهمالهم التفاعلَ مع أبنائهم، فيُتركون دون تشجيعٍ على ما أصابوا، ودون محاسبةٍ على ما أخطأوا، ودون توجيهٍ أو وعظٍ وإرشاد، ويكون ذلك لقلة نضج الوالدين أو أحدهما، أو لاضطرابٍ نفسيّ أو اجتماعيّ أو انفعاليّ لديهما.

(3) اتجاه التذبذب الذي يعبّر عن عدم التوازن في السلطة بين الوالدين، فبينما يثيب أحدهما على سلوك معين نجد الآخر يعاقب عليه.

---

[18] هدى قناوي، 1991، **الطفل: تنشئته وحاجاته**، ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص83.

[19] أمل عواد معروف، 1987، **أساليب الأمهات في التطبيع الاجتماعي في الأسرة الجزائرية**، بيروت: مؤسسة الرسالة.

[20] فاطمة المنتصر الكتانيّ، 2000، **الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال**، ط1، عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

(4) اتجاه الحماية الشديدة الذي يعبّر عن قيام الوالدين أو أحدهما بالأعمال والمسؤوليات المطلوبة من الأبناء والتي يمكنهم القيام بها، دون بذل الجهد في تدريبهم عليها، وذلك مبالغةً في الاهتمام والرعاية وتفريغاً لمشاعر الرفض نحو الأبناء.

(5) اتجاه التساهل الذي يعبّر عن المبالغة في تشجيع الأبناء على تحقيق رغباتهم وفقاً لما يحلو لهم، والاستجابة المستمرّة لطلباتهم، وعدم الحزم في منظومة الثواب والعقاب.

(6) اتجاه التسلّط الذي يعبّر عن المبالغة في الشدّة دون الاهتمام بحاجات الأبناء ورغباتهم، وفرض الطاعة القسرية بدلاً عن تنمية الطاعة الذاتية والضبط الذاتي لدى الأبناء.

ويتساءل الناس، عامّتهم وخاصّتهم، الدارسون منهم والمصلحون: لماذ يخطأ الوالدان في تربية أبنائهم؟

في حقيقة الأمر تتداخل الأسباب المؤدية إلى خطأ الوالدين في تربية الأبناء، ويمكن اختصارها وتحديدها –وليس حصرها– على النحو الآتي:

1. عدم وجود الخبرة الكافية أو الفهم الكافي بطبيعة التغيرات النفسية، والجسمية، والاجتماعية، والعقلية التي يمرّ بها الأطفال خلال مراحل نموّهم، أي جهل الوالدين العلميّ والثقافيّ، وقلة تقديرهم لنعمة الأبناء التي أنعم الله بها عليهم.

2. الصراع والمشاجرة بين الوالدين أو داخل الأسرة بشكل عامّ. فقد تكون العلاقة بين الوالدين غير منسجمةٍ، بل متنافرةً وغير سوية، فيقود ذلك إلى جوّ لا يساعد على تطوير شخصيةٍ متوازنةٍ للأبناء.

3. تركيز الوالدين على أنماطٍ متوارثةٍ في التربية يُحاكون فيها والديهم وأجدادهم إعتقاداً بصحتها وسلامتها دون غيرها. ودلالة ذلك أنّ الوالدين لا يَسعَوْنَ لإعداد أبنائهم لزمانٍ خاصّ بهم غير زمان آبائهم، بل يُصرّون على تنشئة أبنائهم ليعيشوا زمان الأسلاف والأقدمين، وليس زمان حياة المتغيرات والتطورات فيدفع بهم ذلك إلى الصراع، فيتولّد عنه عزلةٌ وانطواءٌ وتخلّفٌ، أو عنفٌ وتمرّد.

4. ميل الوالدين لتعويض الحنان المفقود، ذلك أنّ الوالدين الذين مرّوا بظروفٍ صعبةٍ وحُرموا خلالها حنان والديهم قد يتساهلوا مع أولادهم ويغمروهم بالعطف والحنان الزائدين،

ويغفلوا عن مراقبتهم ومحاسبة من يُخطأ منهم، فيتمادى في خطئه لعلمه أنه لا محاسبة ولا عقاب له.

5. تركيز الوالدين على أحد الأبناء وإظهار الاهتمام الزائد به أو التساهل معه ومدحه دون إخوته الآخرين، بينما يُلاقي الإخوان الآخرون في الأسرة معاملةً تختلف عن معاملته، واهتماماً دون الاهتمام به. والضرر الناتج عن هذا السلوك الوالديّ كبيرٌ، إذ تتعزّز الغيرة السيئة بين الإخوة وتنشأ العداوة والبغضاء بينهم.

6. الحرمان البيئي المتمثّل في حرمان الأطفال من البيئة ذات المساحة الكافية للعب، وحرمانهم من الألعاب أو القصص والمجلات والكتب التي تهتمّ بميول الأطفال واهتماماتهم. ويؤدي شعور الطفل بالحرمان إلى شعوره بالملل فيتصرّف تصرفاً غير سويّ.

7. التعامل مع الأطفال والأبناء والاحتكاك بهم عند وقوع الخطأ فقط. والمقصود من ذلك أن الوالدين ينتظران حتى يقع الواحد من الأبناء في الخطأ فيبادران إلى معاقبته، أو التعامل مع الخطأ والبحث عن علاجٍ له، أي أنّ الوالدين لا يحرصان على التربية الوقائية المتمثّلة في إرشاد الطفل مسبقاً وتوضيح الصواب والخطأ له، وتعريفه بالسلوك المقبول وتدريبه عليه وعلى تعميمه في الزمان والمكان المناسبين، وتعريفه بالسلوك غير المقبول لتجنّبه والتبرّء منه. ويضاف إلى ذلك أن إغفال التربية الوقائية أو التساهل فيها من قبل الوالدين يعني أنهما قد يهملان بعض السلوكات الجيدة في حياة الأبناء دون أن تلقى الاهتمام والتعزيز من قِبَلِهما.

8. عدم وجود أنظمة ومعايير تحكم تصرفات الأفراد داخل الأسرة، بل تترك الأمور كلّها لأحكامٍ مزاجيةٍ عشوائية. ومثال ذلك: أن لا يوجد نظامٌ محدّدٌ للطفل يُحدّد له موعد النوم، أو موعد اللعب ومدته، أو وقت الدراسة ومكانها، وأن لا توجد معايير تُحدّد له كيف يختار أصدقاءه، ومتى يخرج من المنزل، أو نوعية الكتب والقصص التي يختارها، ونحو ذلك. وواقع الأمر أن غياب مثل هذه الأنظمة والمعايير يوقع الأبناء في حبائل الفوضى، فيعتادوا على قلة الانضباط، وعلى اتباع الهوى والشهوات، وبالتالي يقعون في كثيرٍ من التجاوزات غير المقبولة.

9. عدم الثبات والمثابرة. وتفسير ذلك أنه لا توجد استمراريةٌ واتفاقٌ وتناغمٌ لدى الوالدين في تعزيز السلوك المقبول، وفي إهمال أو معاقبة السلوك غير المقبول في كل المواقف زماناً ومكاناً. وتبرز المشكلة بوضوحٍ وجلاءٍ حين يتصرّف أحد الوالدين تجاه سلوك الطفل أو الابن بشكلٍ يغاير تصرّف الوالد الآخر، كأن يكون الأب شديداً والأمّ متساهلةً، فيلجأ الولد إلى التصرّف أمام أبيه بشكلٍ يغاير تصرّفه أمام أمّه، وهذا هو المقصود بعدم الثبات. وأمّا عدم المثابرة فتأتي حينما يحظى السلوك غير المقبول من الأبناء بالقبول والتسامح من قِبَل الوالدين تارةً، وبالرفض تارةً أخرى، أو أن يحظى السلوك الجيد بالتعزيز تارةً، وبالإهمال تارةً أخرى. وتزيد المشكلة حينما لا تكون هناك إشاراتٌ أو دلائل واضحة من الوالدين حول قبولها السلوك أو رفضهما إياه، فينتج أن يُصاب الأبناء بالتشويش والحيرة والارتباك، فيندفعوا نحو التصرّف العشوائيّ من أجل التعلّم والاكتشاف، ويكونوا ضحيةً لخطأ الوالدين في عدم الثبات والمثابرة والوضوح.

10. قلة المتابعة. فقد بات معلوماً أنّ التربية عمليةٌ مستمرّةٌ تتمّ داخل الأسرة وخارجها، وتقوم بها أطرافٌ عديدةٌ، وللرفقاء ووسائل الإعلام والشارع وغيرهم دورٌ في تشكيلها وتحديد درجة نجاحها. ويُخطأ الوالدان حينما يهملان تأثير تلك الأطراف المختلفة على أبنائهما، فيغفلان عن المتابعة والمراقبة لحجةٍ داحضةٍ تتمثّل بالزعم بثقتهما بأبنائهما، أو انشغالهما بالعمل وتدبير شؤون المنزل وما شابه ذلك. فقد يتعلّم الأبناء أشياء وخبراتٍ لا يرضى عنها الوالدان، بل ينبغي أن لا يرضى عنها الوالدان لأنّ فيها فحشاً وسخطاً للّه، دون أن يعلم الوالدان بها لقلة المتابعة والمراقبة. وعليه فمهمّة الوالدين لا تقف عند حدود البيت أو عند حدود توفير الطعام والكساء والحوائج، بل يجب عليهما متابعة الأبناء ومراقبتهم، والتعرّف إلى أصحابهم وأقرانهم، والألعاب التي يختارونها ويمارسونها، والأماكن التي يذهبون إليها، وكيفية قضائهم أوقاتهم.

11. الانشغال عن تربية الأبناء. ويرتبط هذا السبب بالعامل السابق المتمثل بقلة المتابعة، إذ إنّ أحدهما سببٌ للآخر وأثرٌ له في آنٍ واحدٍ. وينشأ الخطأ في تربية الأبناء حينما يعطي الوالدان —أحدهما أو كلاهما– الأولوية للعمل الذي يقومان به، سواء كان المهنة والوظيفة، أو الأصدقاء والزيارات، أو الزينة والمظهر، أو الدرس والبحث ناسين ومتناسين الأبناء

الذين استرعاهم الله إياهم، فلا يجدان الوقت المناسب للحديث معهم، والاستماع إليهم، وتوجيههم، وتنمية مهاراتهم وقدراتهم، وتدريبهم على التصرّف الحكيم والسليم في المواقف المختلفة. وفي ظل هذا الانشغال عن الأبناء تتضاءل الفرص أمامهم لاكتساب المهارات الجيدة لمواجهة المواقف الاجتماعية وللتواصل أو الاتصال الاجتماعيّ المثمر. وفي ظل هذا الانشغال أيضاً، تزداد المغريات أمام الأبناء للتفلّت والتأخر والانحراف والضلال، كأن يتخلّف الولد في تحصيله ودروسه، أو يتخذ صديقاً يصدّه عن ذكر الله وعن الصلاة والحق، أو ينحرف فيُدخن أو يسرق أو يعتدي على حرمات الناس وأملاكهم ... . وفي ظل هذا الانشغال أيضاً، يُصاب الأبناء بالضجر والملل والإحباط، وتظهر المشاحنات بين أفراد الأسرة دون أن تجد من يتصدّى لها ويعالجها في مهدها. ومن أعظم مفاسد هذا الانشغال عن الأبناء –وبخاصة حين تكون الأمّ عاملةً تقضي معظم أوقاتها في عملها– أن تلجأ الأمهات إلى الاعتماد على الجدّات أو الخادمات في تربية الأبناء ورعايتهم وتوجيههم، فيشعر الأبناء بالغربة وغياب الحنان من الوالدين مقابل لقياهم الدلال الزائد من الجدّات أو اللامبالاة من الخادمات، وقد يتعلّمون سلوكاتٍ غير سوية وغير مرغوب فيها تنتقش على جلودهم وأسماعهم وأبصارهم، فيضلّون، وتلك طامةٌ كبرى.

تلكم بعض الأسباب التي تؤدي إلى الخطأ في تربية الأبناء، وبالتالي حدوث السلوك غير المرغوب فيه لديهم. إنّ الأبناء أمانةٌ عظيمةٌ في أعناق الوالدين، وهم فلذات أكبادهم التي تمشي على الأرض. ومن غير المعقول أن يُفرّط الوالدان في رعاية الأبناء والعناية بهم وتربيتهم تربيةً سليمةً، بحيث يكونوا أبناء صالحين ونافعين لأنفسهم ولوالديهم ولمجتمع وأمّتهم. وإنّ الولد الصالح خيرٌ لنفسه، وذخرٌ لوالديه ومجتمعه. ورد في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلّم: :إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أوعلمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له"[21].

إنّ الإهمال في تربية الأبناء سيئ العقبى، ومورِدٌ للمهالك في الدنيا والآخرة، وطريقٌ للعقوق والفساد. ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلى الله

---

[21] رواه مسلم.

عليه وسلّم قال: "أعينوا أولادكم على البرّ، ومن شاء استخرج العقوق من ولده"[22]. فمهمّة الوالدين تستوجب أن يُعينا أولادهما على برّهما بحسن التطبيق وجميل المعايشة، فلا إهمال، ولا مبالغة في التدليل، ولا إفراط ولا تفريط.

لقد قالت العرب: "لا تجني من الشوك العنب". ودلالة ذلك في هذا الموضع أنّ الوالدين اللذين ينشغلان عن أبنائهما ويهملانهم سوف لا يجنيان إلا شوكاً، فلا يبرّهما أولادهم، ولا يدعون لهما بعد موتهما، تلك تجارةٌ خاسرةٌ في الدنيا والآخرة.

يقول الحق جلّ وعلا في كتابه العزيز: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا قُوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارَاً وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ"[23].

وخلاصة القول: إنّ المطلوب من الوالدين إنقاذ الأبناء من الضياع والاضطراب في حال إهمالهم –لا سمح الله–، لا سيما في الصغر حيث تنتقش الطباع، وتنشأ العادات والخصال، وكذلك تسليحهم بالأخلاق الفاضلة، بحيث تنمو معهم عفّةٌ تنأى بهم عن مواطن الابتذال، وقناعةٌ لا تحوجهم إلى الآخرين. وبالتربية السويّة البعيدة عن الأخطاء يشبّ الأبناء أسوياء الخُلُق ومستقلّي الشخصية، يتعاملون مع والديهم وأهليهم والمجتمع بالحق والصدق والفضيلة والمعروف.

اللهمّ علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، إنك أنت السميع العليم. ربنا هب لنا من أنفسنا وأزواجنا وذرياتنا قرّة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع:

(1) معروف، أ. ع. (1987). **أساليب الأمهات في التطبيع الاجتماعي في الأسرة الجزائرية**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

(2) القرشي، ب. ش. (1988). **النظام التربويّ في الإسلام**. بيروت: دار التعارف.

(3) الترمذيّ، م. **الجامع الصحيح**. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار إحياء التراث العربي.

---

[22] أنظر: محمود عمارة، د.ت.، **تربية الأولاد في الإسلام من الكتاب والسنة**، القاهرة: مكتبة الإيمان، ص17.

[23] الآية 7، سورة التحريم.

(4) الخطيب، ج. (2003). **تعديل السلوك الإنساني**. ط1. الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

(5) جبّار، س. م. (1997). **الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية**. ط1. بيروت: المكتبة العصرية.

(6) علوان، ع. (1978). **تربية الأولاد في الإسلام**. ط2. ج1. بيروت: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

(7) باحارث، ع. (2002). **مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة**. ط8. جدّة: دار المجتمع للنشر والتوزيع.

(8) راشد، ع. (1993). **مفاهيم وآفاق تربوية**. القاهرة: دار الفكر العربي.

(9) زيعور، ع. (1985). **التربية وعلم نفس الطفل في الذات العربية**. ط1، بيروت: دار الأندلس.

(10) الكتاني، ف. م. (2000). **الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال**. ط1. عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

(11) الحيلة، م. م. (2003). **تصميم التعليم**، ط2، عمان: دار المسيرة.

(12) النجيحي، م. ل. (1978). **الأسس الاجتماعية للتربية**. بيروت: دار النهضة العربية.

(13) الهاشميّ، م. (1989). **المرشد في علم النفس الاجتماعيّ**. جدّة: دار الشروق.

(14) محمد، م. **صحيح مسلم (باب: كل مولود يولد على الفطرة)**، الجزء الثاني.

(15) حمزة، م. (1982). **أسس علم النفس الاجتماعيّ**. ط1. جدّة: عالم البيان العربيّ.

(16) عمارة، م. (د.ت.). **تربية الأولاد في الإسلام من الكتاب والسنة**. القاهرة: مكتبة الإيمان.

(17) إبراهيم، م. م. (2003). **دور التربية في مستقبل الوطن العربيّ**. ط1. عمّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

(18) قناوي، هـ. (1991). **الطفل: تنشئته وحاجاته**. ط3. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

(19) أبو حميدان، ي. (2001). **العلاج السلوكيّ لمشاكل الأسرة والمجتمع**. ط1. العين: دار الكتاب الجامعيّ.